

قصة تائب

صلاحي غيرت حياتي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سأروي لك قصة من الواقع العميق للمجتمع، وهي قصة تريد أن تفتح لها قلبك؛ علّها تحدث تغييراً في حياتك، قلبك هذا الذي أغلقت دونه الأبواب، وجعلته حبيس الأوهام والوساوس، أفسح له المجال؛ ليتلقّى هذه القصة، ونرجو من الله العليّ القدير أن تكون نافعة محفزة.

وهي قصة شاب عانى من ويلات البعد عن الله، ومرارة المعصية، وسجن الغفلة، وسنترك الشاب يروي لنا القصة الشائقة والرائعة جداً.

قال الشاب: "كنت شاباً أعيش في حياة لهو ولعب، وأجري وراء إشباع كل رغباتي في الحلال والحرام، لا يهمني الأمر، المهم أنني أسكت نهم نفسي الطماعة، التي تحب المرح والتسكّع في الطرقات مع رفقاء لي لا يتحدثون إلا عن الأفلام

الجديدة والرائعة، ويتحدثون عن أحدث الأغاني، فأبحث عنها في كل مكان؛ حيث أذهب إلى قاعات (الإنترنت) لتحميل هذه الأغاني، ومشاهدة أفلام الخلاعة، وهكذا تمر الأيام والشهور والسنون، ونحن في غفلة، فإذا جاء الصيف نذهب إلى شواطئ البحر؛ لنعاكس البنات، ونعيش في حياة ماجنة مليئة بالصخب والعبث، هكذا كانت حياتي.

وفي بعض الأحيان بنجلس الساعات الطويلة نتحدث عن الهجرة إلى البلاد الغربية؛ لأنّها تمثل الجنة في الأرض - هكذا كنا نعتقد - ونظل نحلم بأننا هناك ونتسكع في شوارعها الكبيرة والممتدة، وأنا حينما نصل إلى هناك سنعيش في رفاهية وبجوحة ورغد من العيش، ولا أحدثكم عن الساعات التي كنّا نقضيها في محادثات (النت) والهاتف النقال في أحاديث مختلفة الموضوعات، بل متشعبة، إلى أن جاء يوم؛ حيث ذهبنا لنحتفل برأس السنة الميلادية عند أحد أصدقائنا الأثرياء، وكان المدعوون يرتدون ألبسة توافق (الموضة)، دون أن أصف لكم تفاصيلها، طبعاً كان الحضور ذكوراً وإناثاً، والموسيقا تعزف.

ولكن ما حدث للمرة الأولى بالنسبة لي أنه في منتصف الليل عرض عليّ أحد أصدقائي شيئاً غريباً؛ حيث ناولني كأساً من الخمر، ولكنني قلت له: أنا من أسرة محافظة، فقال: "اشرب ولا تخف، ستحس بالراحة"، وبعد تردد تناولت المشروب، وأحسست بدوار وغثيان، فقال لي صديقي: "لا تخف، هذا يحدث مع جميع الناس"، ولكنني قلت له: سأغادر المكان، فبدأ يضحك ويسخر مني ووصفني بالجن!

وخرجت وخرج صديق آخر معي، وبدأنا نسير في الطريق، وتذكرت في تلك اللحظة كلام والدي التي كانت تقول لي: "يا بني، لا تصاحب رفقاء السوء، فإنهم سيهلكونك ويدمرون حياتك... يا بني... يا بني..."، وكنت أظن أن هذا الكلام سخيف، وأن أمي بعيدة عن التطوّر والحضارة والرقي، ولما وصلت إلى البيت، دخلت إلى غرفتي خلصة، ولما استلقيت على فراشي بدأت الأفكار تتصارع داخلي، حرب نفسية كبيرة، ماذا سأفعل في مستقبلي؟ وما مصيري؟.

مرت الأيام، وفي يوم وأنا في سيارة أجرة

متوجّها إلى البيت إذ بصاحب السيارة يُسمعنا درسًا عن تارك الصلاة، وكان درسًا رائعًا، فقلت للسائق: هلاًّ أعرتني القرص، فنظر إليّ نظرة فيها استبشار وفرحة وتبسم، وهو يقول: "بكل سرور"، ولما وصلت إلى البيت، وكنت متلهفًا لسماع الدرس، وقضيت وقتًا طيبًا مستمعًا باكيًا نادمًا على ما فرطت في حق ربي ونفسي، ثم تهيات وتطهرت ونزلت مسرعًا متجهًا نحو المسجد، فإذا بمجموعة من التساؤلات تتهاطل عليّ "الشواطئ، والأصدقاء، واللعب، والأفلام، والسهرات، والأغاني، وأمور أخرى"، ماذا ستفعل معها؟ ولكنني قلت في نفسي: سأذهب إلى المسجد، ولما اقتربت من باب المسجد بدأ قلبي يخفق بشدة، وأحسست بضيق شديد كدت أن أرجع إلى البيت، ولكنني مضيت إلى الأمام، ولما دخلت المسجد نظرت إلى زوايا المسجد والثريا التي تزينه، والمحراب الجميل، ورائحة المسجد العجيبة والرائعة، ثم كبرت للصلاة لأول مرة، ولما سجدت بين يدي ربي قائلاً: سبحان ربي الأعلى، أحسست بانسراح في صدري، ونزلت عليّ السكينة والطمأنينة، وبدأت أبكي بكاء فيه من الحسرة وفيه

من الحب، فيه من الندم وفيه من الثقة بالله، بأن الله كريم رحيم قريب مجيب.

وهكذا دخلت عالمًا جديدًا، عالمًا جميلًا مليئًا بالحب والإيمان والراحة النفسية، وساعدني ربي كثيرًا؛ حيث جلب إليّ رفقاءً جدداً همهم الوحيد كيف يرضون الله والوالدين؟ وكيف يحققون النجاح في الحياة؟ ومما زاد في سعادتني وبهجتي أنّ أُمِّي لما رأني أصلي لأول مرة، دخلت عليّ وأنا ساجد في غرفتي، فسجدت بجانبني وهي تبكي، وفي سجودها تقول: "يا ربي، إني قد رضيت، قد رضيت، قد رضيت، وهكذا تغيرت حياتي".

نسأل الله أن يثبت هذا الشاب وأمثاله، الذين اختاروا طريقَ الله، الطريق الذي اختاره الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - واختاره الصحابةُ وهو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، وليس هناك طريق أجمل ولا أريح منه، فاللهم ثبتنا على هذا الطريق حتى نلقاك يا ربّ العالمين، ونبشره بأن الله يُحبه؛ لقوله - تعالى - : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: 222]، ونقول له ولأنفسنا: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ؛ قال تعالى: { وَهُوَ الْعَفُورُ

الرَّحِيمُ } [يونس: 107]، { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } [الأحزاب: 43].

ووعده بالمغفرة والثواب لمن تاب وأناب، كما قال تعالى: { إِيَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان: 70].

نصيحة: في الختام أخي الكريم، أختي الكريمة، أرسل لك هذه الكلمة؛ عسى ربنا أن ينفعنا جميعًا؛ لتتقرب إلى الله تقرب المحب المتبتل، فاحرص أخي على صلاتك، فإنها نورك في الدنيا، بل هي كل ما تملك في هذه الدنيا، فإن ضيعتها ضيعت كل شيء حتى نفسك؛ ولهذا الزم الصلاة، ولا تفرقها؛ لأنها كانت قرة عين النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث كان يحبها جدًا، والله الموفق.

